

# دعوة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم

خاتمهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الذي بدأ بهذه الدعوة أي بالدعوه إلى التوحيد ، وذلك لأنه خرج في قومه وقد غيروا دين الله تعالى الذي هو دين إبراهيم ودين إسماعيل مع أنهم يعترفون بأن الله تعالى ربهم وحدهم ، ومع أنهم إذا كانوا في الضيق وفي شدة أخلصوا الدين لله تعالى وعبدوه وحده . ومع أنهم كانوا يحجون ويعتمرون وبذكرون الله كثيراً وكان لهم أخلاق سامية رفيعة ، فكانوا يحمون الحرار ويحملون الكل ويسكبون المعدوم ينافسون في الكرم وفي الشجاعة يحمون نسائهم وذرارتهم يألفون عن الفواحش يحمون أنفسهم عن فعل المحرمات ، ولكن مع ذلك يعبدون آلهة غير الله تعالى ، يعبدون الله ويعبدون معه آلهة غيره ، فجاءهم بالتوحيد ومكث يدعوه إلى قول لا إله إلا الله عشر سنين يدعوه إلى التوحيد، لم يبدأ بدعة غير التوحيد يأمرهم بأن يقولوا لا إله إلا الله وبكرر ذلك عليهم، وذلك لأنهم يسمون تلك المعابد آلهة فلذلك أنكروا عليه وقالوا: { أَجَعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا } لنا آلهة كثيرة نعبدهم ونصرف لهم عبادتنا فكيف نجعل العبادة لواحد . { أَجَعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا } ثم قال تعالى عنهم: { وَاطْلُقُ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَتِّكْ } هكذا سموها آلهة { وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَتِّكْ } تلك الآلهة لا تنفعهم ولا تضرهم ، ولكن حملهم عليها التقليد واتباع الآباء والأجداد ، في زعمهم أنها تفيدهم وأنها ترزقهم وهو مع ذلك يشاهدون أنها مخلوقة ، وذلك لأنهم يعبدون أشجاراً ، يأتون إلى شجرة ثم يعودونها كشجرة العزى وقد تموت الشجرة فينتقلون إلى شجرة أخرى ، كذلك أيضاً ينحوون أصناماً من حجارة أو من خشب وقد تحرق أو تبلى أو تكسر ثم ينتقلون إلى بقعة أخرى هذه حالتهم . ولا شك أن هذا من الجهل العميق بهم ، فإنهم يعرفون أنها مخلوقة وأنها منحوتة ، ولكن زين لهم الشيطان أنها تفيدهم وأنها تنفعهم ، فلذلك صاروا يتعلقو بها ويعبدونها ويسمون دعائهما عبادة ويسمونها آلهة لأن قلوبهم تألهما ، بعث الله تعالى - نبيه - صلى الله عليه وسلم - بإخلاص الدين لله وبعبادته وحده وترك عبادة ما سواه ، ولذلك قال الله في أول ما أمره: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي حَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } هذه الآية أول ما يمر بهم إذا قرءوا القرآن في سورة البقرة ، وهي سورة مدنية جعل الله تعالى فيها هذا الأمر { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ } . وقد وردت أيضاً خطابات بالأمر بعبادة الله أو بتقوى الله مثل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي حَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } انتقام يعني خافوه وذلك بعبادته وحده ومثل قوله: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاحْسِنُوا يَوْمًا لَا يَجِزِي وَالدُّنْيَا وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ حَاجَرٌ عَنْ وَالدُّرُّ وَسَيِّئَاتٍ } أمرهم بتقوى الله تعالى وتقواه هي مخافته وعبادته ، فهذه من دعوة نبينا - صلى الله عليه وسلم - ثم إن الله تعالى أمره بأن يخلص عبادته لله ولا شك أن أمره يعتبر أمراً لأمة: حيث إنهم تبع له فعلتهم أن يتبعوه ، فإذا قرأنا قول الله تعالى: { فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ } الأمر بقوله: { فَاعْبُدُ اللَّهَ } إذا كان خطاباً للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنه تتبعه فيه أمنه . وإذا كان خطاباً لكل فرد من الأمة فإنهم مأموروون بهذه العبادة مأموروون بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، وكذلك قول الله تعالى: { قُلْ إِنِّي أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ } ثم قال بعدها: { قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُ مِنْ دُونِهِ } على وجه التحديد أي أن الدين الذي أمرني الله تعالى به هو أن أعبد الله مخلصاً له ديني ، فإذا لم تعبدوه فإنكم خاسرون { فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْحَاسِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْحُسْنَانُ الْمُبِينُ } هذا هو حقيقة الحسران . لا شك أن هذا كله تأكيد لبيان دعوة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وأنها مثل دعوة الرسل قبله ، بمعنى أن الرسل كلهم دعوتهم جمِيعاً إلى الإخلاص ، إلى إخلاص العبادة لله وحده وإلى ترك عبادة كل ما سواه ولذلك قال تعالى: { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الْقَهْقِهَ يُغَيْبُونَ } لو سألهم لنفوا وقالوا ما أرسلنا إلا بالإخلاص ، بعثنا الله وأمرنا بأن نأمر الناس أن يخلصوا عبادتهم وطاعتكم لله وحده وألا يعبدوا إليها غيره بل تكون عبادتهم كلها لله وحده . هذا هو الذي بعثت به الرسل ، فمن الناس من قبل واقتدى لما رأوا الآيات وذلك لأن الله تعالى أيد رسleه بالآيات والبراهين التي تدل على صدقهم ، وأظهر على أيديهم المعجزات فكان في ذلك سبباً في اهتداء من اهتدى منهم في أن هدى الله تعالى من أراد به خيراً من الأمم ولهذا قال تعالى: { قَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الصَّلَالَةُ } من هداهم الله هم الذين قبلوا دعوة الرسل .